



تحليل

فضيل الأمين

الروابط الاجتماعية تُبقي ليبيا مرتبطة ببعضها البعض، ولكن هناك حاجة إلى روابط سياسية من أجل النجاح

مارس ٢٠١٤

ونقص الاستثمارات والنتائج الدموية لأثنين وأربعين عام من الحكم الديكتاتوري، ولكن قُم بعمل جولة في شوارع أي مدينة في البلد وسوف تدرك سريعاً أنها ليست العراق أو أفغانستان أو الصومال.

إن ما يُبقي الليبيين مرتبطين ببعضهم البعض هي روابط العائلة والصداقة والدين والمجتمع والتلطف تجاه بعضهم البعض، فهم مرتبطون ببعضهم البعض من خلال تجربتهم المشتركة في الثورة، وباعتقادهم المشترك أنهم يعيشون في بلد فيه ما يكفي من الثروة ليتركوها ويرحلوا، فعبء الانقسامات المحتملة على أساس الجغرافيا والهوية والثروة والعرق فالليبيين الذين ارتبطوا بالزواج المختلط والتجارة عانوا بصورة جماعية من القمع، فهذه الروابط الآن تخدمنا جيداً.

إن الحوار الوطني قد قطع منتصف الطريق من خلال جولة التواصل والمشاركة المجتمعية في أنحاء ليبيا، ففي ثلاثين مدينة تمكنت الجولة من توفير ساحة مستقلة غير سياسية لليبيين من أجل الحديث في العلن، في ظل معرفتهم أنه سيتم الاستماع لهم بحيادية وأنه سيتم أخذ كلامهم على محمل الجد، فلأول مرة منذ اثنين وأربعين عام وادت الفرصة لليبيين للتعبير عن مطالبهم فيما يتعلق بالوضع الراهن وعن تطلعاتهم فيما يتعلق بالمستقبل.

لقد بدأنا بناء حركة شعبية قاعدية حقيقية من أجل الحوار وتهدف إلى التوصل إلى حل سلمي للاختلافات، فقد تم تعبئة جنود الكشافة ومنظمات المجتمع المدني وقادة المجموعات العرقية والمجموعات القبلية من أجل دعم وتشجيع الحوار الوطني، نحن نقوم بما هو أكثر من مجرد بناء ساحة للكلام، نحن نعمل من أجل بناء إطار من خلاله يمكن البدء في تقوية حالة الاجماع السياسي.

تشير التقارير الاعلامية الأجنبية عن الأوضاع في ليبيا مؤخراً إلى أننا على شفا حرب أهلية، فرحيل رئيس الوزراء زيدان وعدم قدرة الحكومة المركزية على منع عمليات التهريب السرية لحاويات النفط الليبي والقاتل في مدينة سرت، كلها عوامل إذا تم وضعها مع بعضها البعض يمكن أن تُنبئ في عيون المراقبين الأجانب عن أن البلد عبارة عن صندوق من البارود الذي ينتظر عود الثقب ليشتعل.

ولنأخذ على سبيل المثال التقرير الذي نشرته جريدة الجارديان مؤخراً، حيث تم اقتباس عبارة من مصدر مجهول يدعي فيها «أن هناك توتر في كل مكان في الشوارع... وكل فرد يعد العدة من أجل الحرب.» بينما يعتقد خبير نفط مقيم في لندن (من غرفة زجاجية مطلة على نهر التايمز) أن شرق ليبيا سوف يقوم بإعلان الاستقلال قريباً، بينما يحذر خبير أمني - تماماً كما يميل المحللون السياسيون أيضاً إلى نفس الأمر - من أن ما هو قادم سوف يكون عنيف.

منذ ثلاثة أيام أدى انفجار سيارة مفخخة في مدينة بني غازي إلى مقتل ثمانية جنود بينما هما يغادرون حفل التخرج، وقبلها بثلاثة أيام قتل ستة أشخاص في مدينة ديرنا، ومنذ ثلاثة أسابيع تم إعدام سبعة مسيحيين مصريين في مدينة بني غازي، هذه فقط عينة من واحد وخمسين فرداً قتلوا في ليبيا خلال هذا الشهر فقط، إن ما يحدث حالياً هو عنيف.

وعلى الرغم من أن الموتى لم يتم تكريمهم، فإنه يتم استخدامهم كنماذج لتنبؤات مسرفة فيما يتعلق بمستقبل البلد ككل، وليس كمثال على إصرار الشعب الليبي في مواجهة المجهول وتدهور الأوضاع الأمنية والكارثة العرضية.

والحقيقة أن الغالبية العظمى من الليبيين مستمرين في ممارسة حياتهم اليومية، نعم إنه صحيح أن الليبيين يعانون من البطالة

فضيل الأمين هو رئيس الهيئة التحضيرية للحوار الوطني في ليبيا وباحث غير مقيم مع مركز رفيق الحريري للشرق الأوسط التابع للمجلس الأطلسي.

تتبع الدول الغربية سياسات خارجية أكثر انعزالية، لو أن ليبيا - تلك الدولة النفطية التي تتسم بعدد سكان صغير - انحدرت إلى الفوضى في أعقاب ثورة والغارات الجوية التي قادها حلف الناتو، فماذا يتبقى من أمل لأي دولة يمكن أن تتدخل فيها القوى الغربية في المستقبل؟ وما هي الفائدة؟

إن الأمر المهم الذي فشل في فهمه هؤلاء المحللون - أو أنهم يفضلون نسيانه - هو أن ليبيا بالكاد كانت تعتبر دولة منذ اثنتين وأربعين عاماً، فليبيا كانت عن عبارة عن اقطاعية شخصية لمهرج مجنون مصاب بجنون العظمة، تحت حكم معمر القذافي تم سحق احساس الليبيين بهويتهم وتم استبدالها بسلسلة من البدع: القومية العربية والقومية الاسلامية والقومية الافريقية، الهويات الأخرى - القبلية والعرقية والاجتماعية - تم استغلالها وتوظيفها ضد بعضها البعض، لقد كانت استراتيجية بدائية ومتوحشة لمبدأ فرق تسد.

إن الأجيال المتعاقبة منذ السبعينيات - يمثل الشباب ٦٤٪ من مجمل السكان في ليبيا - قد تربت على القدرة فقط على البقاء بدون أي فرص تعليمية أو إرشاد مؤسسي، فلا عجب بعد ذلك من وجود تفكير قصير المدى وهذا اللجوء السريع للعنف، ما كان يريده القذافي حتى النهاية هو أن يُترك وحيداً في عزلة رائعة من أجل التمتع بجميع الحلي اللامع الذي يمكن شراؤه بأموال النفط، ولو كانت هذه هي طريقة القذافي - كما اعترف هو بنفسه - فإن الشعب الليبي ببساطة كان يتم اجباره على الهجرة إلى دول افريقيا جنوب الصحراء.

وعلى مدار الوقت تم تخريب المؤسسات القائمة على انفاذ حكم القانون وأضحت الثقافة مثار للسخرية وتم تخويف الشعب، كما تم تجريد الشعب من الكرامة بصورة أساسية، زتم القضاء بصورة ممنهجة على العدالة وقواعد اللعب النظيف، إلا أن كل ما تبقى بعد رحيل القذافي هي روابط الحب والاحترام.

إن حالة ليبيا الآن يجب أن تُعطينا جميعاً أمل كبير، ففي مواجهة هذه المخاطر، يظل الحب والاحترام - بالنسبة للجزء الأكبر - هو الباقي، الحب والاحترام لن يُبقيا المجتمع مربوطاً ببعضه البعض إلى الأبد، ولكنها يمكن أن تمثل الأسس التي عليها يمكن العمل على بدء بناء المؤسسات والمنظمات التي يمكن أن تحميها حينما تنطلق غرائزنا المبتذلة.

فضيل الأمين هو رئيس الهيئة التحضيرية للحوار الوطني في ليبيا وباحث غير مقيم مع مركز رفيق الحريري للشرق الأوسط التابع للمجلس الأطلنطي.

لا يمكن القول بأن الحوار الوطني هو عملية سياسية، فهو ليس كذلك بقدر ما هو إقرار بحقيقة أن الوحدة السياسية يمكن تحقيقها فقط عندما يتمكن الشعب من صياغة قواعد اللعبة.

وفي حين تتفاوت المظالم من مكان لآخر، كما أن كل منطقة لها مظالمها المحلية الخاصة بها، فإنه من الواضح من خلال جولة التواصل والمشاركة المجتمعية أن تطلعات الليبيين هي تطلعات جامعة ذات شقين: الوحدة الوطنية من جانب والأمن والاستقرار من جانب آخر.

إن الأجيال المتعاقبة منذ السبعينيات - يمثل الشباب ٦٤٪ من مجمل السكان في ليبيا - قد تربت على القدرة فقط على البقاء بدون أي فرص تعليمية أو إرشاد مؤسسي، فلا عجب بعد ذلك من وجود تفكير قصير المدى وهذا اللجوء السريع للعنف

يحتاج الفرد بالكاد إلى القيام باستطلاع رأي من أجل القول بأن الهواجس حول الأمن والاستقرار تحتل مساحة كبيرة في عقول الغالبية العظمى من الشعب، ولكن الدعم الشعبي للوحدة الوطنية يسير في عكس اتجاه السردية العامة - التي تروجها وسائل الاعلام - لسكان منقسمين بصورة حصرية على أساس الولاء للقبيلة أو للعرق أو الهويات الاقليمية، فهذه الولاءات موجودة وتؤثر بصورة كبيرة على مسار المستقبل، ولكن أيضاً هناك قيم التعايش السلمي وحكم القانون وسلامة ووحدة الأراضي الليبية الموجودة في الدولة. وكما قال أحد المشاركين في جولة التواصل والمشاركة المجتمعية في طرابلس مؤخراً «المشكلة في ليبيا أنه في حين يتحدث الجميع عن النتائج التي نريدها لا أحد يناقش الكيفية التي من خلالها يمكن تحقيق هذه النتائج.» إن الحوار يوفر بديل واضح لسياسات السلاح، ويمكن الليبيين من الوصول إلى فهم معقد للقيم التي تتطلبها عملية إقامة الدولة، وبناء إجماع حول هذه القيم، فإن الحوار الوطني سيمكن الروابط الاجتماعية القائمة من الالتئام في الأطر السياسية، والتي من خلالها سوف يتحقق الأمن والاستقرار المرغوب فيهم بشدة.

إن المتنبئين بالحرب الأهلية والفوضى يميلوا لأن يقعوا في أحد المعسكرين: معسكر الذين ليس لديهم معلومات كافية، ومعسكر الذين يستخدمون ليبيا كدراسة حالة تؤكد حجتهم المتعلقة بضرورة أن

يعمل مركز رفيق الحريري للشرق الأوسط على جمع الأصوات من أمريكا الشمالية وأوروبا معاً مع خبراء من الشرق الأوسط. حيث يهدف إلى تشجيع حوار حول السياسات ذات الصلة بمستقبل الاقليم في ظل هذه اللحظة التاريخية من التحول السياسي، وينتج المركز تحليلات محايدة وتوصيات خلاقة للسياسات حول التغيير السياسي والاقتصادي والاجتماعي في الدول العربية، كما يعمل على بناء مجموعات تأثير حول الموضوعات الحيوية.

Atlantic Council Board of Directors

INTERIM CHAIRMAN

*Brent Scowcroft

PRESIDENT AND CEO

*Frederick Kempe

VICE CHAIRS

*Robert J. Abernethy

*Richard Edelman

*C. Boyden Gray

*Richard L. Lawson

*Virginia A. Mullberger

*W. DeVier Pierson

*John Studzinski

TREASURER

*Brian C. McK. Henderson

SECRETARY

*Walter B. Slocombe

DIRECTORS

Stephane Abrial

Odeh Aburdene

Timothy D. Adams

*Michael Ansari

Richard L. Armitage

*Adrienne Arsht

*David D. Aufhauser

Elizabeth F. Bagley

Ralph Bahna

Sheila Bair

Lisa B. Barry

*Rafic Bizri

*Thomas L. Blair

Julia Chang Bloch

Francis Bouchard

R. Nicholas Burns

*Richard R. Burt

Michael Calvey

James E. Cartwright

Daniel W. Christman

Wesley K. Clark

John Craddock

David W. Craig

Tom Craren

*Ralph D. Crosby, Jr.

Thomas M. Culligan

Gregory R. Dahlberg

*Paula J. Dobriansky

Christopher J. Dodd

Markus Dohle

Lacey Neuhaus Dorn

Conrado Dornier

Patrick J. Durkin

Thomas J. Edelman

Thomas J. Egan, Jr.

Stuart E. Eizenstat

Julie Finley

Lawrence P. Fisher, II

Alan H. Fleischmann

Michèle Flournoy

*Ronald M. Freeman

*Robert S. Gelbard

Richard L. Gelfond

Edmund P. Giambastiani, Jr.

*Sherri W. Goodman

John A. Gordon

*Stephen J. Hadley

Mikael Hagström

Ian Hague

Frank Haun

Rita E. Hauser

Michael V. Hayden

Annette Heuser

Marten H.A. van Heuven

Marillyn Hewson

Jonas Hjelm

*Mary L. Howell

Robert E. Hunter

Robert L. Hutchings

Wolfgang Ischinger

Deborah James

Robert Jeffrey

*James L. Jones, Jr.

George A. Joulwan

Stephen R. Kappes

Francis J. Kelly, Jr.

Zalmay M. Khalilzad

Robert M. Kimmitt

Roger Kirk

Henry A. Kissinger

Franklin D. Kramer

Philip Lader

David Levy

Henrik Liljegren

*Jan M. Lodal

*George Lund

*John D. Macomber

Izzat Majeed

Fouad Makhzoumi

Wendy W. Makins

Mian M. Mansha

William E. Mayer

Eric D.K. Melby

Franklin C. Miller

*Judith A. Miller

*Alexander V. Mirtchev

Obie L. Moore

*George E. Moose

Georgette Mosbacher

Bruce Mosler

Sean O'Keefe

Hilda Ochoa-Brillembourg

Philip A. Odeen

Ahmet Oren

Ana Palacio

*Thomas R. Pickering

*Andrew Prozes

Arnold L. Punaro

Kirk A. Radke

Joseph W. Ralston

Teresa M. Ressel

Jeffrey A. Rosen

Charles O. Rossotti

Stanley O. Roth

Michael L. Ryan

Harry Sachinis

William O. Schmieder

John P. Schmitz

Kiron K. Skinner

Anne-Marie Slaughter

Alan J. Spence

John M. Spratt, Jr.

Richard J.A. Steele

James B. Steinberg

*Paula Stern

William H. Taft, IV

John S. Tanner

Peter J. Tanous

*Ellen O. Tauscher

Clyde C. Tuggle

Paul Twomey

Henry G. Ulrich, III

Enzo Viscusi

Charles F. Wald

Jay Walker

Michael F. Walsh

Mark R. Warner

J. Robinson West

John C. Whitehead

David A. Wilson

Maciej Witucki

R. James Woolsey

Mary C. Yates

Dov S. Zakheim

HONORARY DIRECTORS

David C. Acheson

Madeleine K. Albright

James A. Baker, III

Harold Brown

Frank C. Carlucci, III

Robert M. Gates

Michael G. Mullen

William J. Perry

Colin L. Powell

Condoleezza Rice

Edward L. Rowny

James R. Schlesinger

George P. Shultz

John W. Warner

William H. Webster

LIFETIME DIRECTORS

Carol C. Adelman

Lucy Wilson Benson

Daniel J. Callahan, III

Kenneth W. Dam

Stanley Ebner

Barbara Hackman Franklin

Chas W. Freeman

Carlton W. Fulford, Jr.

Geraldine S. Kunstadter

James P. McCarthy

Jack N. Merritt

William Y. Smith

Marjorie Scardino

Ronald P. Verdicchio

Carl E. Vuono

Togo D. West, Jr.

RAFIK HARIRI

CENTER

ADVISORY

COUNCIL

Bahaa Hariri[^]

Hanan Ashrawi

Shaukat Aziz[^]

Richard Edelman[^]

Ashraf Ghani[^]

Ray Irani[^]

Wolfgang Ischinger

Hisham Kassem

Frederick Kempe

Aleksander Kwasniewski[^]

Javier Solana

**Executive Committee Members*

[^]International Advisory Board Members

List as of April 24, 2013